

حوار مع طالب

محمد الحر

بكالوريوس في الطب، كلية الطب – جامعة قطر

يسرنا في هذا العدد أن نستضيف أحد خريجي كلية الطب بجامعة قطر، الذي استطاع خلال رحلته الجامعية أن يجمع بين التفوق الأكاديمي، والبحث العلمي، والابتكار، والمشاركة المجتمعية. تنوعت اهتماماته بين الأمراض الجلدية، والتقنيات الطبية الحديثة، والتعليم الطبي، إلى جانب شغفه بالقيادة والتواصل مع الجمهور. في هذا الحوار، يحدِّثنا الطالب محمد الحر، من كلية الطب في جامعة قطر، عن رحلته من مقاعد الدراسة إلى آفاق البحث العلمي والتميز المهني، وما يحمله من طموحات للمستقبل.

بدايةً محمد، حدِّثنا عن نفسك، وكيف بدأت رحلتكَ مع دراسة الطب؟ وما الذي دفعكَ لاختيار هذا المسار؟

معكم أخوكم محمد الحر، طبيب مقيم في تخصص الأمراض الجلدية بمؤسسة حمد الطبية. تخرجت مؤخرًا من كلية الطب بجامعة قطر، وكانت هذه الرحلة من أجمل التجارب. بدأت رحلتي مع الطب من رغبة حقيقية في اختيار مسار يجمع بين الشغف العلمي والهدف الإنساني النبيل النابع من ديننا الإسلامي الحنيف. وكان لعائلتي دور كبير في هذا الاختيار، حيث شكَّل دعمهم وتوجيههم المستمر دافعًا لي لرؤية مدى الأثر الإيجابي والملموس الذي يمكن للعامل في هذا المجال الإنساني أن يقدمه للمجتمع.

متى اكتشفت شغفكَ بالبحث العلمي؟ وما أول تجربة بحثية تركت أثرًا حقيقيًا في مسيرتك؟

اكتشفت شغفي بالبحث العلمي في مرحلة مبكرة من دراستي للطب، عندما أدركت أن الممارسة السريرية تخبرنا «بما يجب فعله»، بينما يأتي البحث العلمي ليجيب على سؤال «لماذا نفعل ذلك؟ وكيف نطوِّر منه؟». أما أول تجربة تركت أثرًا حقيقيًا في مسيرتي فهي العمل على مشروع بحثي تشرفت بنيل الميدالية الذهبية عنه في معرض «يورو-إنفنت» (Euro-Invent) للعلماء الشباب برومانيا عام 2021. رؤية أفكارنا تُقدَّر في محفل دولي جعلتني أدرك تمامًا أن الطالب، حتى في بداياته، قادر على تقديم إضافة معرفية حقيقية في المجتمع الطبي العالمي، خاصة إذا كان تحت توجيه وإشراف متميز، مثل مركز جامعة قطر للعلماء الشباب.

حققتَ العديد من الإنجازات وشاركتَ في محافل دولية مختلفة. ما التجربة التي شكَّلت نقطة تحوُّل بالنسبة لكَ، وماذا تعلمت منها؟

نقطة التحوُّل الأبرز في مسيرتي كانت الفوز بالمركز الثاني لأفضل ملصق بحثي في مؤتمر أبو ظبي الدولي للأمراض الجلدية والتجميل (AIDA). هذه التجربة وضعتني مباشرة في قلب مجتمع طب الأمراض الجلدية العالمي، وتعلمت منها أن لغة العلم والبحث هي لغة عالمية مشتركة، كما أن التواصل مع كبار الخبراء الدوليين علمني أن التميز يتطلب دائمًا النظر خارج النطاق المحلي والاطلاع على التجارب من خلال التعاون الدولي.

ما الذي جذبكَ إلى تخصص الأمراض الجلدية، وكيف ترى مستقبلكَ في هذا المجال؟

تخصص الأمراض الجلدية يثير شغفي بشدة لكون الجلد يمثل مرآة تعكس صحة الجسم بأكمله. يستهويني جدًا الجانب التشخيصي والبصري في هذا التخصص، ومدى ارتباطه الوثيق بجودة حياة المريض وحالته النفسية. بالنسبة لمستقبلي في هذا المجال، أطمح لأن أكون طبيبًا ممارسًا وأكاديميًا في آنٍ واحد؛ بحيث أقدم أفضل رعاية طبية ممكنة لمرضاي في مؤسسة حمد الطبية، مع الاستمرار في نشر بحوث مؤثرة تركز بشكلٍ خاص على المظاهر الجلدية الناتجة عن الأمراض الباطنية.

نشرتَ بحثًا حول استخدام الواقع الافتراضي في تعليم التشريح. كيف تنظر إلى دور التقنيات الحديثة والذكاء الاصطناعي في تطوير التعليم والممارسة الطبية؟

التكنولوجيا تعيد تشكيل وجه الطب بالكامل، وبالأخص في التعليم الطبي. ومن خلال البحث الذي شاركت في نشره حول استخدام الواقع الافتراضي (VR) في تعليم التشريح، جربت بنفسي كيف يمكن للتقنيات التفاعلية أن تحوِّل المفاهيم المعقدة إلى تجربة بصرية سهلة الفهم وآمنة للتطبيق. الذكاء الاصطناعي والتقنيات الحديثة لم تأتِ لتستبدل الطبيب، بل لتمكينه؛ ففي التعليم الطبي، تتيح هذه الأدوات تعلمًا مخصصًا وتفاعليًا. وفي الممارسة اليومية، يساعد الذكاء الاصطناعي في تحليل البيانات بدقة وسرعة، مما يمنح الطبيب وقتًا أكبر للتركيز على الجانب الأهم: التواصل الإنساني والتعاطف مع المريض.

إلى جانب الطب والبحث العلمي، كان لكَ حضور في مجالات القيادة والتواصل وتقديم الفعاليات. كيف انعكست هذه التجارب على شخصيتكَ ومسيرتكَ المهنية؟

خوض تجارب القيادة وتقديم الفعاليات والمؤتمرات الطبية والتكنولوجية الكبرى كمتحدث ومقدم كان له أثر لا يقل أهمية عن التدريب الطبي نفسه. هذه التجارب أخرجتني من نمط الدراسة التقليدي بين الكتب إلى مواجهة الجمهور، وعلمتني كيفية تبسيط المفاهيم الطبية المعقدة وإيصالها بلغة سلسة يفهمها الجميع، بالإضافة إلى مهارات إدارة فِرق العمل تحت الضغط، والحديث بثقة. لقد أدركت من خلالها أن الطبيب الناجح ليس من يمتلك حصيلة علمية فحسب، بل من يتمتع أيضًا بمهارات تواصل وقيادة متميزة.

ما أبرز التحديات التي واجهتكَ خلال سنوات الدراسة، وكيف تمكنت من تحقيق التوازن بين الدراسة والبحث والأنشطة المختلفة؟

التحدي الأكبر كان بلا شك إدارة الوقت؛ فدراسة الطب وحدها تتطلب جهدًا وتستغرق وقتًا طويلاً، وإضافة البحوث الدولية والأنشطة القيادية وتقديم الفعاليات إليها كان يتطلب تنظيمًا دقيقًا جدًا. تعاملت مع هذا التحدي من خلال ترتيب الأولويات بشكلٍ صارم، والحرص على تنظيم يومي، مع تخصيص وقت لتفريغ الضغوط وممارسة هواياتي مثل التدريب في رياضة التنس لتجديد طاقتي الذهنية. لم يكن الأمر يتعلق بالبحث عن ساعات إضافية في اليوم، بل بالتركيز الكامل والإنتاجية في العمل الذي أنجزه في تلك اللحظة، سواء كان دراسة، أو كتابة بحث، أو تقديم مؤتمر.

ما أهم نصيحة تود توجيهها للطلبة الراغبين في خوض تجربة البحث العلمي وتحقيق التميز في مسيرتهم الأكاديمية والمهنية؟

نصيحتي الأساسية هي: لا تنتظر الفرصة المثالية، بل اسعَ لصنعها بنفسك. ابحث عن موجِّه أو مشرف يلهمك عمله، واطرح الأسئلة، ولا تخف من البدء بخطوات بسيطة؛ فعلى سبيل المثال، لم أكن أخطط مسبقًا للانضمام إلى مجموعات بحثية في مجال الأمراض الجلدية، ولكن عندما بادرت بنفسي وأبديت اهتمامي وشغفي بهذا التخصص، بدأت تُفتح أمامي هذه الفرص. التميز لا يحدث بين يوم وليلة، بل هو نتاج الاستمرارية والفضول العلمي المستمر لكل ما يدور حولك. والأهم من ذلك، لا تضع نفسك في قالب واحد؛ يمكنك أن تكون طالبًا متميزًا، وباحثًا مبتكرًا، وقائدًا ناجحًا في نفس الوقت. ثق بقدراتك، وحافظ على شغفك، واستمتع برحلتك.